

في نور محمد فاطمة الزهراء

الأشهاد، وتناشد الناس ما كان يقول في كل مكان، ففيه سلاسة تيسره للألسنة وتحببه إلى الأسماع. منه في هذا المجال: الحمد لله مُمسنا ومُصبرنا *** بالخير صَدِّحَنَا رَبِّي وَمَسَّسَنَا رَبُّ الْحَنِيفَةِ لَمْ تَنْفَدْ خَزَائِنَهَا *** مَمْلُوءَةٌ طَبَقِ الْآفَاقِ سُلْطَانَا أَلَا نَبِيُّ لَنَا مَدْنًا فِيْ خَيْرُنَا *** مَا بُعِدُ غَايَتُنَا مِنْ رَأْسِ مَحْيَانَا بَيْنَا يَرْبِنَا آبَاؤُنَا هَلَكُوا *** وَبَيْنَمَا نَقُوتُنِي الْأَوْلَادُ أَفْدَانَا وَقَدْ عَلِمْنَا لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا *** أَنْ سَوْفَ يَلْحَقُ أُخْرَانَا بِأَوْلَانَا [443] وَكَانَ يُؤْمِنُ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَقًّا، فَاتَّبَعَهَا، وَأَخَذَ نَفْسَهُ بِمَا أَدْرَكَ مِنْهَا مِنْ بَقَايَا وَشُذُورٍ، وَرَاحَ يَحْثُّ عَلَيْهَا النَّاسَ، قَالَ: كُلَّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ - إِلَّا الْحَنِيفَةَ - زور. * * * إِنَّ قَرَاءَاتِهِ وَمَدَارِسَاتِهِ، وَشَيْئًا فِي نَفْسِهِ، كَانَتْ تَلْقَى فِي رُوعِهِ أَنَّ نَبِيًّا يَظْهَرُ فِي الْعَرَبِ، مُبَشِّرًا بِدِينٍ هُوَ خَاتَمُ الرِّسَالَاتِ، فَطَمَعُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُبْعُوثُ بِهَذَا الدِّينِ. وَعَلَى بُلُوغِهِ مَا لَمْ يَكْدُ يَبْلُغُهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِالْأَحَدِ غَيْرِهِ مِنْ مُعَاصِرِيهِ، فَإِنَّهُ ظَلَّ عَلَى نَفْسِ دَأْبِهِ، يَطُوفُ بِأَصْحَابِ الْبَيْعِ وَالصَّوَامِعِ، مُجَالِسًا مَدَارِسًا، لَعَلَّهُ أَنْ يَزِيدَ عِلْمًا، أَوْ يَقَعَ عِنْدَهُمْ عَلَى جَدِيدٍ. وَرَجُلٌ آخَرُ رَحَلَاتِ نَشْدَانِهِ الْحَقِيقَةِ، هَذِهِ الْمَرْءُ كَانَ فِي جَمَاعَةِ مَنْ قَرِيشَ بَيْنَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ وَابْرُوءَةَ عَلَى جَانِبِ طَرِيقِ سَلْكُوهِ اسْتَمَهَلَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَنْتَظِرُوهُ، وَمَضَى عَنْهُمْ إِلَى حَيْثُ لَا يَعْرِفُونَ وَجْهَتَهُ. بِخَطِيئَةٍ حَثِيثَةٍ وَاسِعَةٍ انْطَلَقَ إِلَى التَّلِّ فَاعْتَلَاهُ، وَيَمُّمُ كَنِيسَةً صَغِيرَةً فَوْقَ الْقُمَّةِ، عِنْدَ